عنوان المداخلة

واقع وآفاق اللّغة العربية في الجامعة الجزائرية –قراءة في طرائق وأساليب الاستثمار في التّخصصات المختلفة

أ.شهرزاد بن يونس

قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات

جامعة قسنطينة1-الجزائر

مدخل:

تشكّل اللغة الأم هوية المجتمع وثروته الحقيقية التي تحافظ على ثوابته ومبادئه، فهي الخيط الذي يصل الحضارات بعضها ببعض، فبتطوّر اللّغة يكون الإنسان قد وضع لبنة متينة في الحفاظ على وطنه ولغته وهويته واقتصاد بلده، وثقافة مجتمعه، وهذا لا يتحقق إلاّ بمحافظة الفرد عليها، إذ يجب على المتحدّث بها أن يتقنها وأن يوظّفها في المحافل الدّولية، وأن يحبّها، ويعتزّ بها ، وأن يفعّلها في جميع المؤسّسات التربوية والتّجارية والاقتصادية والتقنية والعلمية، وفي الجامعة، وفي سوق العمل، وهذا حتّى تلتحق بالرّكب الحضاري.

وبما أنّ الجامعة هي المركز الاستراتيجي والمؤسسة العليا لفئة المثقّفين، فهي أكثر المؤسسات التي يقع على عاتقها الحفاظ على هذه اللغة الأمّ، لأنّها الخلية التي يحصل فيها بناء الأمّة، وهذا على الرّغم من اهتمام مؤسسات التعليم العالي بلغات أجنبية أخرى يحتاجها الطالب الجامعي في تحصيله العلمّي، بغرض أن يتواصل مع العولمة بكل أشكالها، إنّ مسيرة الجامعة العربية عموما والجامعة الجزائرية خصوصا نحو التطوّر والازدهار لا يكون إلاّ بتحقق رسالتها في تقديم جيل يتحدّث لغته بطلاقة وبشكل سليم، متسلّحا بها لمواجهة الزّحف العلمي والتكنولوجي والتقني في شتى مناحي الحياة، و لكي يكون فردا قادرا على استثمار طاقاته ومهاراته وقدراته التي ستؤهّله لدخول سوق العمل بامتياز.

وتبعا لأهمّية توضيح العلاقة القائمة بين هذه المؤسّسة وجيلها من طلبة العلم اخترنا هذا الموضوع كي نتمكّن من وضع اليد على تقييم الواقع اللغوي في مستوى التّعليم العالي، حيث ارتأت هذه الورقة البحثية أن تقف عند عتبة الجامعة الجزائرية أنموذجا للجامعة العربية، وقوفا عند طرائق ووسائل الاستثمار الموظفة على نطاق الكليات والأقسام في التخصصات العلمية أو الإنسانية، وهذا من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

كيف نقيّم جهود الجامعة الجزائرية في استثمار اللغة العربية؟ ما هي البرامج والأساليب المعدّة في الكليات والأقسام المختلفة للحفاظ على هذه اللغة؟ هل توجد جهود فردية أو جماعية من طرف الطلبة أو الأساتذة تخدم هذا الاستثمار؟ إلى أيّ مدى نجحت أو فشلت هذه الاجتهادات؟ وما تأثيرها في مسايرة الرّكب الحضاري؟ ما هي المقترحات المقدمة من طرف مسؤولي هذا القطاع لهدم الهوّة القائمة بين العربية والعلوم والمعارف؟

أولا: الإطار النّظري والتّحليلي

1/ فصاحة اللغة العربية والاستثمار (قراءة في المفاهيم):

أ/ الفصاحة:

إن اللغة العربية الفصحى هي اللغة المشتركة بين أبناء العرب من الشرق إلى الغرب، وهي لغة القرآن الكريم الذي يجمعهم، لغة استطاعت رغم الأزمات التي مرّت بها عبر العصور أن تخرج منتصرة، فهي لم تفن ولم تختف بل لا زالت ترسم خطواتها نحو تأسيس قاعدة صلبة لتكون لغة الحضارة والقيادة بعيدا عن العامّيات التي تنغّص لها الطريق، وبعيدا عن الأجنبيات التي تكتسح ديارنا وجامعاتنا.

ونظرا لأهمية الفصاحة والفصيح نجد تراثنا العربي القديم يقف عند هذا المصطلح فقد أورد السيوطي (ت911هـ) مثلا مفهوما للرّاغب الأصفهاني ذكره في مفرداته بقوله: «الفُصْحُ: خلَوصُ الشيء ممّا يشوبه، فأصله في اللّبن، يقال: فصّحَ اللبن، وأفصَح فصّيحٌ، إذا تعرّى من الرّغوة»[1]، فاللغة الفصيحة بهذا المنظور القديم لغة بعيدة عن شوائب الأغلاط اللغوية، أو حوشيّ الكلام، فهي صافية كصفاء اللّبن، تحافظ على بنية مستوياتها اللسانية، دون ان يمسّها أيّ تغيير.

ويرى المتأخرون من البلاغيين أنّ الفصاحة في الكلام المفرد «خلوصُه من تنافر الحروف، ومن الغرابة، ومن مخالفة القياس اللغوي»[2]؛ فالفصاحة من المنظور البلاغي ابتعاد عن الكلمات الثقيلة غير المستساغة والعسيرة النّطق إذا ما تقاربت مخارج الأصوات في الكلمة، فضلا عن محافظة متحدّثها على القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية حتى لا تفقد جزءا من خصوصيتها. وفي هذا المقام يقول "هادي نهر ": «وإنمّا نريد بفصاحة اللّغة سلامتها من اللّحن، والعُجمة واللّكنة، والفصاحة بهذا المعيار ليست ميزة البليغ الذي يسلك مسلك البلغاء من خطباء العرب وكتّابهم وشعرائهم القدماء، ولكنها ضرورة لكل باحث معاصر، وفي أيّ فروع من فروع المعرفة؛ لأنّ كتابة العلوم بلغة واهية ملحونة ضررها أكثر من نفعها»[3]، فهذه إشارة واضحة إلى أهمية توظيف اللغة العربية توظيفا سليما بعيدا عن الخطأ حتى يستطيع الناطق بها أن يحافظ على هويته، ومنه تتيسّر له سبل مواكبة تطوّر العلوم .

كما أنّ مقياس الفصاحة قد تغيّر منذ الزّمن القديم إلى زمننا المعاصر؛ لأنّ العربي كان يهمّه

التوقف عند طلاقة اللّفظ، وبلاغة الإيصال بالصوت السلس، بينما الفصاحة في عصرنا خروج عن دائرة الأخطاء اللغوية بأنواعها والتي تكون حائلا أمام توصيل الرّسائل بشكلها الصحيح للمتلقي خصوصا إذا تعلق الأمر بالترجمة التي يجب أن تكون بأسلوب عربي واضح ورصين، وسيبقى القرآن في ذلك المرجع الرئيس للفصاحة مع الحديث النبوي الشريف وكلام البلغاء والشعراء، دون الدخول في معركة أي العرب أفصح أ هوازن أم تميم أم ثقيف أم الغلبة لقريش(4)؛ فالفصاحة في المفهوم الحديث إذن هي الحفاظ على اللغة من اندثارها بتوفير طرائق استثمارها اللازمة في كل المؤسسات التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، «فهي الرّباط المقدّس الذي يربط بين الأفراد، والذي يجعل من الجماعة المتشعّبة الأهواء والأغراض أمّة واحدة، قوية البنيان، متماسكة الأطراف»(5)، كالسلسلة التي تترابط حلقاتها ترابطا منطقيا فإذا فقدت إحداها فقدنا العقد كليّا.

<u>ب- الاستثمار</u>: تعود اشتقاقات هذا المصطلح من الناحية اللغوية إلى المادة اللغوية (ثمر) الدّالة على النتيجة المرجوّة والغاية المنتظرة، والنضج «الثمر: حمل الشّجر، وأنواع المال والولد: ثمرة القلب»(6)، ويقال (ثامر) بمعنى (نَضَجَ) فهو مثمر، وقيل: "الثُّمُرُ" : عقل المسلم، والعقل العقيم: عقل الكافر»(7)، وقد تجيء المادة الأصلية (ث م ر) للدلالة على النتيجة وتحققها(8).

وبإضافة السابقة (ا س ت) لهذه المادة، تنتج لنا المادة الاشتقاقية (استثمر) للدلالة على الطلب، ليكون "الاستثمار" بمعنى طلب الحصول على الثمرة، أما من الناحية الاصطلاحية فقد وردت دلالته عند علماء الفقه ولكن ليس بهذا المصطلح ، وإنما ببدائل أخرى مثل: التنمية، التّثمير، والاستنماء... وهذا للتدليل على تنمية المال بشرط مراعاة الأحكام الشرعية، وقد جاء مفهومهم لهذا المصطلح بمعنى «تشغيل المال لزيادة الإنتاج والاستزادة من نعم الله، وذلك لتحقيق أهداف مالية واقتصادية واجتماعية»(9)، وهو يقترب من هذا المفهوم عند الاقتصاديين، ولكنّه أكثر شمولية عندما ينظر إلى "المُسْتَثْمِر" بأنّه «فرد لديه إرادة استخدام جميع الموارد الفكرية والبشرية والمادية لبناء مشروع يتميز بالقدرة على تنمية رأس المال الفكري والبشري والمادي»(10)، وهذا من خلال استراتيجية هادفة ومنهجية دقيقة يمكن تحقيقها من خلال نموذجين من المستثمرين:

*<u>**المستثمر الإنتاجي**</u>: هو مستثمر يبتكر المنتجات ويسوقها إلى كل أنحاء العالم لتمثل إحدى الدعائم الأساسية للثقافة العولمية والإنسانية وهو يتاجر في مجال محدّد أو في عدة مجالات، وغالبا ما ترتبط استثماراته الأخرى باستثماره الرئيس (11)، و هو مستثمر مبدع بمنتجه الرّئيس و مبدع في تسويقه؛ فالشائع عنده أن يبدأ بفكرة تحقق له رأس المال، مثال ذلك " بيبسي كولا" أبدعها صيدليّ و دوائي يهوديّ ، انطلق من مشروب كان دواء مُرّا للمرضى ثمّ طوّره بتحليته وحوّله إلى مشروب غازي شهير. والشائع أنّ هذا النّوع من المستثمرين يتميّز بالنّزاهة والإجلال والتقدير، يفكّر في مصلحة الآخرين أكثر من

مصلحته، ويهدف دائما إلى تحسين منتوجه وتطويره.

***المستثمر المالي**: يرّكز على المال ولا يهتم بالمجال، وفي الغالب يقوم بشراء الشركات[12]، كما يتاجر في الثروات الطبيعية وغيرها، ويلجأ إلى الوسائل اللاأخلاقية عادة كالكذب والنفاق والخداع الأخلاقي، مبدأه "الغاية تبرر الوسيلة".

إنّ الذي يعنينا من هذين النّمطين هو النّوع الأول "الإنتاجي" الذي يعتمد على فكرة الإنتاج وتصدير الإنتاج لتحقيق الربحين المادي والمعنوي على السواء.

2- *واقع اللغة العربية في عصر العولمة والاستثمار*:

بينما كنت أتصفح كتب اللغة شدّني عنوان مقال للباحث واللساني الكبير "عبد السلام المسدّي" وسمه بـ: "العرب والانتحار اللّغوي"، ورحت أسأل نفسي كيف تنتحر اللغة؟ ولماذا؟ وأين؟ ومتى؟ لم تكن الإجابة سهلة عليّ وأنا أتصفح تفاصيل القضية، ففاجأتني فكرة إعداد لمشروع إحلال الحروف اللاتينية بدلا عن الحروف العربية ليتمكن العراق الديمقراطي الجديد من توثيق صلته بالغرب الأمريكي ومن إصلاح التعليم وتحديث الثقافة[13]، ووصلتني الرسالة سهلة بأن الانتحار مرتبط بالقضاء على الهوية دائما ، وحدّة الجريمة تتوضّح جليّة عندما تكون الأيادي المشاركة في القضاء على العربية أجنبية توجّهها للأسف أياد عربية.

ويطالعنا واقع آخر للعربية على لسان الباحث الأردني و اللّغوي الشهير "هادي نهر" عندما سئل: كيف ترى مستقبل العربية في خضم العولمة وقواها؟ فأجاب قائلا: «إنّ القضية لم تعد قضية لغات، وإنما قضية أمم كائنة وفاعلة ومنتجة ومبدعة ومؤثرة، وأمم غائبة ومستهلكة وتابعة، وحين تكون الأمّة فاعلة تكون لغتها كذلك»[14]. من خلال هذين القولين نقف عند خطورة الموقف الذي تعيشه مجتمعاتنا العربية تجاه لغتها الأم؛ فهي تضيّع هوّيتها أمام استبدال الحروف العربية بنظيرتها اللاتينية، وهذا عمل غربيّ مبيّت و مدروس غايته القضاء على الشّكل المكتوب للغة بعد أن ضيّع ناطقوها شكلها الشفوي لتتحوّل إلى نسق ناقص من جهة، كما تواجه هذه المجتمعات مشكلة الاستهلاك السلبي لكلّ المنتوج الغربيّ في كل الميادين دون وعيّ بالسموم التي تصاحبها لأجل هدم مقوّماتها و زعزعة استقرارها .

كما سجلنا من خلال المقولتين السابقتين بالموازاة تفسيرا استثماريا سلبيا للّغة من طرف ناطقيها، لأنّه يفترض أن يكون الفرد منتجا وفاعلا ومبدعا ومؤثرا كلما استثمر لغته، والعكس هو الصّحيح أي كلما كان غائبا ومستهلكا وتابعا فقد لغته وهويته، فالمعادلة واضحة، تتطلّب من مؤسسات التعليم، ونخصّ التّعليم العالي ، أن تقود حركة التّغيير الاجتماعي المنشود لتصل إلى أعلى درجات الرقيّ، لأنّ الجامعة هي موطن الفكر والحضارة والعلم، لها رسائلها وأهدافها في تطوير البحث العلمي ومن ثمّ خدمة مجتمعها

فهي «مؤسسة اجتماعية وثقافية وتربوية»[15]، تمثل مركز الإشعاع الحضاري والعلمي للمجتمع من خلال الحفاظ على موروثه اللغوي؛ لأنّ بناء الفرد ينطلق من تصحيح الذات وجعلها قوية في مواجهة المستجدات الاقتصادية من خلال تصدير لغتها عن طريق البرامج والتقنيات التي تعالج منظومتها.

إنّ هذا الوضع الذي آلت إليه العربية يجعلنا كعرب نقع فريسة للموت البطئ أمام التحوّلات العالمية؛ فالعالم بأسره -وفي ضوء التحولات الاقتصادية والمعلوماتية الجديدة- يسعى بكل الطرق إلى دفع عجلة الاستثمار اللّغوي، ذلك أن اللّغة الأم يمكنها أن تعظّم العائد الاقتصادي إذا تمّ تصدير برامجها وتقنياتها التي تعالج منظومتها إلى الآخر المتحضّر كلما أحسنت المؤّسسات التعليمية والثقافية إدارته بحنكة وتفاعل مع تنامي المستخدم العربي في إثبات ذاته من جهة، ورغبة المؤسسة التربوية بكل أطوارها في تأهيل وإعداد أجيالها لمواجهة تحدّيات العصر عن طريق تدريب متعلّميها وتأهيلهم لعالم المعرفة المستمر دائما والمتجدّد.

يقودنا هذا التقديم لواقع الحال إلى البحث عن الاستراتيجيات التي تضعها جامعات التعليم العالي للحفاظ على لغاتها، وهنا نتساءل ما هي طرائق اكتساب المعرفة في المؤسسات الجامعية الجزائرية؟ وإلى أيّ مدى استثمرت اللّغة العربية فيها؟ وما هي طرائق هذا الاستثمار عند فئة أعضاء هيئة التدريس؟ وما مدى فعّاليتها في جعل العربية تلتحق بالركب الحضاري؟

ثانيا: الإطار التطبيقي للدراسة

1-حدود الدراسة:

-**الهدف**: هدف هذه الدراسة هو تحليل تجارب أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الجزائرية في مجال الاستثمار اللغوي الداخلي والخارجي على السواء، كما تعمل على تقديم وصف للتحديات التي تواجه قطاع التّعليم العالي للوصول إلى عالم المعرفة.

المجال البشري: اقتصرت هذه الدّراسة على استطلاع عيّنة قليلة من أساتذة الجامعة الذين يعملون على تطوير تقنيات الاستثمار في اللغة العربية، كلّ بحسب حاجة اختصاصه، مع مراقبة وتحليل ردّة فعل الطالب الجزائري اتجاه ذلك ضمن المحيط التفاعلي بين الأستاذ والطالب، وقد أقيمت الدراسة على خمسين 50 أستاذا موزعين على تخصصات علمية وإنسانية مثل (قسم الآداب واللغة العربية، قسم الكتاب والسنة –قسم التاريخ- قسم البيولوجيا- قسم الحقوق.

-**المجال المكاني**: جامعات جزائرية (جامعة قسنطينة1 – جامعة أم البواقي- جامعة سكيكدة- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

-**المجال الزّمني**: أقيمت الدراسة على مدار ثلاثة أشهر للسنة الجامعية الجارية 2013-2014م من

15 سبتمبر إلى 15 ديسمبر 2013، حيث كانت طريقة العمل مبنية على حضور محاضرات الأساتذة وتسجيل طرائق تدريسهم في مختلف المقاييس لسنوات التدرج (السنة الأولى الثانية والسنة الثالثة نظام LMD) مع تسجيل ملاحظات بخصوص لغتهم الموظفة وكيفيات استثمارها، مع وصف حالة تجاوب الطلبة مع أساتذتهم، ضف إلى ذلك إرسال مراسلات إلى أساتذة التعليم العالي وجمع البيانات باستخدام البريد الالكتروني عبر شبكة الانترنت.

2-منهجية الدراسة:

بعد عملية تسجيل الملاحظات التي قمنا بها إثر حضور المحاضرات في التخصصات المختلفة توصلنا إلى أن عدد مستخدمي اللغة العربية من هيئة التدريس قليل جدّا، إذا ما قورن بتقديم المحاضرة بالعاميّة والفرنسية، ويمكن تلخيص هذا الاستطلاع وفق الجدول الموالي:

الأقسام	عدد الأساتذة في كل قسم	عدد الأساتذة الذين يدرّسون باللغة العربية
أقسام الآداب واللغة العربية	20	18
قسم التاريخ	05	01
قسم الحقوق	06	01
قسم علوم الطبيعية والحياة جذع مشترك	10	01
قسم الكتاب والسنة	05	05
قسم الفقه وأصول الدين	04	04

سجلنا من خلال هذا الجدول الملاحظات الآتية:

-إن توظيف اللغة العربية من طرف هيئة التدريس في مستوى التّعليم العالي قد تحقق بنسبة 100% بالنسبة لقسمي (الفقه وأصول الدّين والكتاب والسنة)، وهذا لأنّ الدّراسات القرآنية والعقدية بصفة عامة تتصل بحفظ القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، كما أنّ أساتذة القسمين من حفظة كتاب الله، لهذا نجد لديهم تمكنّا في التّواصل باللغة العربية، ثم تأتي أقسام اللّغة العربية في الدّرجة الثانية، وهذا لأنّنا

وجدنا أستاذين من مجموع عشرين أستاذا، قد استعانا باللّهجة المحلية في الشرح وتقديم بعض الأمثلة، وهو غير مستحّب في هذا المقام.

- سجّلت العلوم الاجتماعية (التاريخ- الحقوق) أدنى نسبة في توظيف اللغة العربية؛ ومرد ذلك إلى أنّ أغلب أساتذة التاريخ يدرّسون باللغة الفرنسية (التاريخ المعاصر، التاريخ الوسيط)، مع خليط من العربية والعامية لتقريب الفهم، وهم في ذلك غايتهم تثمين استيعاب الطّلبة للمادة التاريخية كما أثبتت حواراتنا معهم.

-عرف قسما (الحقوق والبيولوجيا) اتفاقا في عدد الأساتذة الموّظفين للغة العربية بشكل جيّد، مع نيّة استثمارها، رغم قلّة عددهم والتي تقدّر بأستاذ واحد في كل تخصّص.

- سجلّت الدّراسة تغليبا لتوظيف اللّغة الفرنسية في هذين القسمين الأخيرين، فمثلا نجد في قسم البيولوجيا تذكر المقاييس باللغة الفرنسية دون العربية حتى ولو كانت تدرّس بالعربية من مثل: Zoologie (علم الحيوان)، Biochimie (البيو كيمياء)، Génétique (علم الوراثة)، Bactério (علم البكتيريا) .

- لاحظنا توظيف الإدارة في قسم البيولوجيا لرموز باللغة الأجنبية لمقاييس يجهل الطلبة معانيها ، فقد فوجئنا بأنّ كلّ الطلبة الذين استفسرناهم عن مقياسين رمز لهما بـ: Mtt1، وH.U.S.B ، وقد بلغ عددهم 47 طالبا ، لا يعرفون معنى هذه الحروف ، فضلا عن الجهل التّام بالمصطلح الأجنبي الذي يقابل الحرف، مثال ذلك:

1-Mtt1: Méthodologie de Travail et Terminologie1.

2-H.U.S.E: Histoire Universelle des Sciences Expérimentales.

وهنا نكون قد سّجلنا عدم وعي هيئة التّدريس بالطرائق العلمية المنهجية في التعريف بالمقاييس للطلبة باللغة العربية، ممّا يؤثر سلبا على فهم واستيعاب المضامين والمفاهيم المدرجة ضمنها، فضلا عن الانعكاس السلبي في تحصيل المعلومات بشكلها الصّحيح.

و حتى نضع اليد على كيفية استثمار اللغة العربية في المحيط الجامعي سنقف عن تحليل نماذج فعّالة لبعض هؤلاء الأساتذة الذين يوظفون العربية ويستثمرونها بتوريثها لأجيال، نوضحها في النقاط المنهجية الموالية لهذه الدراسة.

ثالثا: طرائق الاستثمار اللّغوي في الجامعة الجزائرية

1-الاستثمار عن طريق الإنتاج وإعادة الإنتاج: يمثّل الأستاذ الجامعي القطب الأهم في العملية التعليمية، لأنّ الاستثمار اللّغوي لا يكون إلاّ بحضوره الفعّال في بناء صرح المعرفة عن طريق بث إشعاعاته الفكرية إلى الأجيال المختلفة من طلبة العلم، وهذا لا يتحقق إلاّ بكفاءة هؤلاء من هيئة التدريس لتحقيق الجودة المطلوبة، وهذا من خلال «مدى نجاح الفرص التعليمية المتاحة أمام الطّلاب في مساندتهم على تحقيق الدّرجات العلمية المنشودة، وعلى ضمان التدريس المناسب والفعّال، والمساندة، والتقييم، والفرص التعليمية الملائمة والفعّالة»[16] وهذا لا يمكن تحقيقه إلاّ بلغة سليمة تبني جسر العلم بين المعلّم والمتعلّم، وهنا نتساءل كيف يتواصل الأساتذة مع طلبتهم؟

إنّه من خلال الجدول السابق سجلنا نسبة معتبرة في توظيف اللّغة العربية لدى أقسام (اللغة العربية، الكتاب والسنة، أصول الدين)، ممّا جعلنا نحكم على هؤلاء الأساتذة بفعّاليتهم و إيجابيتهم في إنتاج اللّغة العربية ثم توصيلها للطلبة الذين يتفاعلون معها بإيجابية دائما رغم النّقص الذي لمسناه أثناء آدائهم لها.

فالأستاذ ينتج خطابا لغويا صحيحا في كل مستوياته اللسانية في مجال محدد من مجالات المعرفة الإنسانية، والطالب يعيد إنتاجه بطريقته المختلفة عن طريق خطاب مماثل لخطاب أستاذه، أو خطاب يكون أقل تماثلا، ولعلّ العروض الشفوية التي يطلب الأساتذة من الطلبة إعدادها تمثّل وسيلة إنتاجية جيّدة عندما يقدّم العرض شفويا دون قراءة من الورقة، ثم تخضع بعد ذلك طرائق التقديم واللّغة المُقدّم بها إلى تقويم الأستاذ وتقييمه.

النتيجة التي يمكن التوصّل إليها في هذه الحالة هي مساعدة الطالب الجامعي طواعية في الانتقال من سياق المقدرة والكفاية باتجاه الأداء والانجاز؛ فالطالب الذي يتمّ إعداده جيّدا على المستوى اللغوي والفكري هو الأقدر على توظيف مكتسباته المعرفية بعد تخرّجه، بتوظيفها توظيفا سليما، ذلك أن جيلنا المعاصر يحتاج إلى فلسفة لغوية حديثة، يجيد فيها فنّ القول واستخدام اللّغة استخداما صحيحا، فيستطيع أن يتحدّث بكلام بليغ في كلّ مناسبة مقتضاة وفي كل مقام يجد نفسه فيه»[17]. فنكون بذلك قد هيّأناه تهيأة صحيحة لمجابهة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بثبات وقوة، فتعبيره الصّحيح يساعده على ترميم الخلل الذي يعانيه من تحريف وصعوبة في الأداء.

وتثمينا لفكرة الإنتاج وإعادة الإنتاج فقد وجدنا من أساتذة النحو وعددهم 7 سبعة يبذلون جهودا مضنية في تثبيت القواعد النّحوية خاصة لطلبة السنة الأولى جامعي، وهذا لإيمانهم بجدوى ترسيخ القواعد النحوية لتحسين مهارتيْ الكتابة والحديث، وهذا عن طريق تكثيف في التطبيقات التي تخصّ القواعد النّحوية والتي عادة ما تزعج الطالب، إذا ما أثقلت بالشواهد الشّاذة «التي تُفضي إلى زعزعة القاعدة،

وإلى عدم التركيز...» [18]، كما يقول الباحث الجزائري صالح بلعيد؛ لأنّ من واجب عضو هيئة التّدريس أن يعمل على تقويم ألسنة المتحدثّين بالعربية حتى لا يدخل اللّحن كلامهم، بدل التّركيز على قضايا خلافية تُنفّر الطالب من اللّغة العربية وتبعده عنها فلا يتمُ بذلك تعلّم اللّغة العربية، وهنا سنكون قد فشلنا في تحقيق استثمارها ، لأنّ الاستثمار الحقيقي يكون بنقل العربية من مجال التنظير إلى مجال التطبيق عن طريق تنمية المهارات اللّغوية لدى الطالب، وتحفيزه على احتذاء المنوال الصّحيح عن طريق الالتزام بالقواعد كتابة ومشافهة.

2-الاستثمار عن طريق التعلّم النّشط:

انتهت الدّراسة إلى أنّ عشرين 20 أستاذا من مجموع خمسين 50 يعملون على تفعيل اللّغة العربية، وتيسير طرائق اكتسابها عن طريق التعلّم النّشط "Active Learning" و«هو التعلّم المنتج الإبداعي والذي يتّصف بالعمق ويؤدي إلى استثمار كل الإمكانات والطاقات الكامنة لدى الفرد استثمارا خلاقا ومبدعا يساهم في تحسين نوعية حياة الفرد وحياة المجتمع في آن واحد»[19]، من صوره في الجامعة الجزائرية: التكرار والعمل الجماعي والحفظ.

أ-التّكرار: بما أن التّدريس تواصل لغوي داخل قاعة الدّرس يقوم على خطّة تعليمية، يكون فيها الأستاذ مهيّأ علميا وبيداغوجيا، متحّكما في آلية الخطاب التّعليمي، وقادرا على اختيار الطرائق البيداغوجية، فإنّ المتمدرس (الطالب) بحاجة إلى تطبيقات دورية لتحقيق الأهداف التعليمية لأنها ستكون وسيلة مساعدة لبناء الجسر المعرفي، وتحقيق النجاح المرجو في نهاية المرحلة الجامعية.

ومن ضمن الأساليب التي تحقق هذا الهدف "عقوبة التكرار" وهي الطريقة التي تحققت عند أستاذين من أساتذة التعليم العالي بقسم الآداب واللغة العربية، وفيها يلجأ الأستاذ إلى تسليط عقوبات فعّالة على الطّلبة الذين يرتكبون أخطاء لغوية أثناء الكتابة، وهذا في الأيام العادية، أو أثناء فترة الامتحانات، فبعد الامتحان يحصي الأستاذ الأخطاء اللّغوية المرتكبة من طرف الطالب بعد تصنيفها (إلى إملائية، تركيبية، نحوية، صرفية، تعبيرية)، ثم يلتمس من المخطئ إعادة كتابة الكلمة المصحّحة 200 مرّة أو 500 مرّة، وبهذا تترسخ لدى الطالب تصويبات الخطأ عن طريق الممارسة، وعليه يستبعد عن الخطأ كلية، وقد أثبتت هذه الطريقة نجاعتها في إبعاد الطلبة عن الأخطاء الأكثر شهرة، والتي عادة ما يخطئون بها من مثل:

الخطأ	الصواب
-حدا –حدى	-حدة
-ذالك، هاؤلاء	-ذلك ، هؤلاء

-أُذكر	أذكر
-الضاهرة	-الظاهرة
-أنباءا، سماءا	- أنباءً، سماءً

ب-الحفظ: يلجأ الكثير من الأساتذة في الجامعة الإسلامية، خاصة تخصص (كتاب وسنة، الفقه وأصوله) إلى مطالبة الطلبة بحفظ القرآن الكريم (4 أحزاب كأقل تقدير)، وحفظ الحديث النّبوي الشريف (الصحيحين البخاري ومسلم)، وحفظ ألفية ابن مالك، والكثير من الشعر الجاهلي، وقد رأيناها طريقة مثلى في تثبيت اللّغة العربية، ونشر الفصاحة بين الطلبة حتّى أنّ منهم من يتحدّث بالفصحى بطريقة جيّدة، وهذا إذ دلّ على شيء إنما يدلُّ على أنّ هذه الطريقة فعّالة في التعلّم النّشط، ومن خلالها تستثمر اللّغة العربية عن طريق ترسيخ المعلومات وإعادة توظيفها كلّما تطلّب المقام ذلك، كما سيجعل من هذه الفئة أنموذجا يحتذى به عندما تنتقل إلى ميدان العمل، حيث سيكون هؤلاء الطلبة قادرين على توظيف العربية الفصيحة وتلقينها إلى الجيل الآتي بعد ذلك.

جـ-العمل الجامعي: يعدُّ العمل الجماعي واحدا من الأنشطة الفعّالة في التواصل اللّغوي بين فئة الطلبة الجامعيين، خاصة في التخصّصات العلمية، ففي مجال البيولوجيا مثلا يعمل الأساتذة المطبقون على تقديم أعمال موجّهة مشتركة وأخرى فردية بهدف تقييم الطالب الجامعي، وقد أثبتت خبرة الأساتذة الذين تواصلنا معهم وعددهم 3 ثلاثة إلى أنّ العمل الجماعي أكثر كفاءة وقدرة على تحفيز الطالب كي يقدّم عنصره على أكمل وجه عن طريق تقسيم العمل المشترك إلى جزئيات، يجتهد كل واحد من الطلبة في تقديم طرف منها مع إجبار كلّ منهم على تلخيص عمله بلغة عربية فصيحة كتابة ومشافهة، وهذه طريقة جيّدة للحفاظ على اللّغة العربية.

3-الاستثمار عن طريق التّرجمة:

إنّ التّرجمة باعتبارها نقلا للفظ أو النّص من لغة إلى أخرى تحتاج دائما إلى حنكة لغوية، ودقّة وأمانة علمية في نقل المعاني والأفكار، لهذا أصبحت أهميتها تزداد في عصرنا مع وسائل التواصل العالمية الحديثة، وأصبحت الحاجة إلى نقل المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والفكرية أمرا مُلحًّا في هذا القرن.

وتزداد هذه الأهميّة في مدّرجات الجامعات، لأنّ المتعلّمين في هذه المرحلة هم بحاجة إلى مصطلحات تساعد على استيعاب المفاهيم المعاصرة وترسيخها كي يواكبوا الحضارة العلمية في كل مناحيها؛ كالألفاظ الدّالة على الفضائل والأجناس النباتية والحيوانية في علم البيولوجيا مثلا والرياضيات

والكيمياء....

وبما أنّ المصطلح يمثل أداة البحث ولغة التفاهم بين العلماء لتأدية الحقائق العلمية أداء صادقا، فقد أثر بعض الأساتذة من الجامعة الجزائرية بترجمة ونقل مصطلحات أجنبية إلى اللغة العربية، ويكونون بذلك قد استثمروا هذه اللغة إيجابا، وحققوا ربحا ماديّا عند بيع هذه المؤلفات إلى غيرهم، كما يحققون ربحًا معنويا بترويجها بين أبناء لغتهم، وهذا ما سجّلناه عند أستاذين بقسم البيولوجيا، وعند ثلاثة أساتذة في أقسام الآداب واللغة العربية، خاصّة ما ارتبط بالمصطلحات اللسانية في مجالي المصطلحات الصوتية والدلالية وهي جهود تستحق كلّ تقدير واحترام.

الخاتمة:

ونصل أخيرا بعد هذا العرض المختصر لطرائق استثمار اللغة العربية في الجامعة الجزائرية إلى النتائج الآتية:

*انتشار الأميّة الجديدة لدى فئتي الطلبة والأساتذة الجامعيين تمثل عائقا جوهريا أمام فتح أبواب الاستثمار الداخلي والخارجي على السواء.

*وجود طرائق وجهود استثمارية فردية جادّة يفتح باب التفاؤل أمام حاجيات التطوّر العلمي والأدبي في الجامعات الجزائرية.

*الانهزامية النّفسية التي يعانيها الطالب كثيرا ما تؤدي إلى تثبيط جهود الاستثمار في اللغة العربية.

*غياب المسؤولين عن حركية تفعيل الاستثمار تزيد الأمر تعقيدا.

*الاستثمار اللغوي لا يشترط دائما عناصر مادية لنجاحه، بل سجّلت الدّراسة نجاحا لتدريب طاقات بشرية وتكييفها كي تتعامل مع الجديد المعرفي بالطاقات العقلية وتنميتها.

*إنّ إخضاع اللّغة لثنائية العرض والطّلب مكسب فعّال في استثمار اللغة العربية، والربح في النهاية سيكون من نصيب الأجيال إذا ما أحسنت تحقيق التوازن بين كفّتي المعادلة.

*الاستثمار اللّغوي ليس حكرا على تصدير اللغة خارج الحدود العربية، بل الاستثمار الحقيقي هو تفعيل اللّغة في محيطها أوّلا، وتحقيق أهميتها لدى فئة المتعلّمين الذين أعلنوا هجرانها.

*لقد حققت طرائق الاستثمار الدّاخلي للغة العربية في الجامعة الجزائرية نتيجة إيجابية من حيث إنقاص أخطاءها، وتفعيل مهارة الحديث بها؛ ولعلّ الحفظ أكثر الأساليب فعالية في التّعلم النّشط.

*إنّ ميدان الترجمة يزيد في فعالية اللّغة في محيطها، وحبذا لو يتم التعاون مع الهيئات الوزارية لتوسيع خطى التعاون بين الدّول العربية في خلق قناة ترجمية للمصطلحات العلمية والتكنولوجية بغية

توسيعها وإخراجها من محيطها الضّيق.

<u>توصيات الدّراسة:</u>

وحتى تصل هذه الدراسة إلى مبتغاها فإننا نوصي بالآتي:

<u>أولا:</u> توسيع مجال الاستثمار عن طريق الرّبط بين الجامعة وسوق العمل؛ من خلال التكوين اللّغوي الجيّد في المجالين النظري والعملي عند تخريج الإطارات التي ستكون فعّالة في مجالها بعد إجراء مسابقة تنشط الذاكرة اللّغوية للطالب.

<u>ثانيا</u>: استثمار اللّغة العربية الفصحى عن طريق إنشاء مطويات تتضمن مصطلحات معربة للتخصصات العلمية خاصة، وشرح مفاهيمها وتبسيطها بأمثلة، وتباع للطلبة بأثمان معقولة، وهذا سيعمل على الحفاظ على اللّغة العربية وتوسيعها، وفي المقابل تقدّم هيئة التدريس للطلبة المتخصصين في الآداب والعلوم الإنسانية مطويات تتضمن نوادر، وتصويبات لغوية، وحِكم فصيحة، ومصطلحات مترجمة تزيد في تثقيف الطالب، ثم تحويل العائدات من المشتريات إلى شراء كتب ومعاجم وحواسيب تقدم للطلبة الذين يجيبون عن أسئلة المطوية.

<u>ثالثا</u>: إجراء تطبيقات مقامية في سوق العمل عن طريق التّربصات التي يقوم بها الطلبة لتهيئتهم ماديا ومعنويا للتواصل مع مكان عملهم مستقبلا.

<u>رابعا</u>:تعيين أفراد أكفاء من هيئة التدريس لتقديم ترجمة دقيقة للمصطلحات الأجنبية، المتعلّقة بأسماء المقاييس المدرّسة، خصوصا وأنّنا سجلنا جهلا ببعض التسميات من مثل مقياس (Mtt3) الذي يدرّس في السنة الثانية تخصص (البيولوجيا).

<u>خامسا</u> : توجيه رأس المال نحو الاستثمار في مشاريع معالجة اللغة العربية، سيكون له عائد كبير للمستثمر، كما أن تفاعل ثقافة العربية مع ثقافات العالم عبر شبكة الأنترنت يساعد على نشر العربية عبر أقطار العالم، ولكن قبل أن نصل إلى هذه المرحلة نحن بحاجة إلى استثمار داخلي يجعل الطالب (المستهلك) للمعرفة الفكرية والعقلية طالبا إيجابيا قادرا على تقويم نفسه بالآليات المقدّمة من طرف أساتذته.

الهوامش و الإحالات:

(1) –السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، (د.ط)، 2010، ج1، فصل معرفة الفصيح، ص159.

(2) –السيوطي: المصدر نفسه، ج1، ص160.

(3) –هادي نهر: اللغة العربية وتحدّيات العصر، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2010، ص129.

(4) –فقد أثبتت الدراسة التراثية أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أفصح من نطق بالضاد رغم أنه من قريش. وللمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع ينظر: محمد ر شاد الحمزاوي، العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص15-21.

(5) –كمال محمد بشر: قضايا لغوية، دار الطباعة القومية، مصر، 1962، ص88.

(6) –ابن منظور: لسان العرب، ضبط وتعليق: خالد رشيد القاضي، دار صبح، بيروت، لبنان، إديسوفت، الدّار البيضاء، ط1، 2006م، ج2، ص114.

(7) –ابن منظور: المصدر نفسه، ص115، ج2.

(8) –ينظر المعجم الوسيط، ج1، ص245 .

(9) –عمر مصطفى جبر إسماعيل: ضمانات الاستثمار في الفقه الإسلامي وتطبيقاتها المعاصرة، دار النفائس، الأردن، ط1، 2010، ص22.

(10) –ماجد الحمدان: السيادة الاستثمارية دليل الأفراد لقوة الثروة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص195.

(11) –المرجع نفسه، ص196.

(12) –ماجد الحمدان: المرجع السابق، ص196.

(13) –عبد السلام المدى: العرب والانتحار اللغوي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص95.

(14) –حافظ إسماعيل علوي، ووليد أحمد العناقي: أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009م، ص308.

(15) –زياد بركات، وأحمد عوض: واقع ودور الجامعات العربية في تنمية مجتمع المعرفة من وجهة نظر عينة من أعضاء هيئة التدريس فيها، 2011، ص4.

(16) –هالة عبد القادر صبري: جودة التعليم العالي ومعايير الاعتماد الأكاديمي، "تجربة التعليم الجامعي الخاص في الأردن"، المجلة العربية لضمان جودة التعليم العالي، ع4، مج2، 2009، ص153.

(17) –منال محمد هشام سعيد نجّار: نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، تقديم نهاد الموسى، علام الكتب الحديث، إربد، ط1، 2011م، ص226.

(18) –صالح بلعيد: ضعف اللّغة العربية في الجامعات الجزائرية، جامعة تيزي وزو أنموذجا، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص19.

(19) –كريمان بدير: التعلّم النشط، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص35.